صدى الحرية

أسبوعية | ثورية | اجتماعية | توعوية | منوعة

للتواصل وإرسال المشاركات:

Facebook / SadaALhoryeh **

freequd@gmail.com

فريق QMT قدسيا الإعلامي

صدى الحرية | العدد 94 | الجمعة 13 | شباط | 2015

دوما تباد

انصروا دوما

دمشق وحادثة الرد

هكذا الأحرار

سرايا التشييح

السوريات الثائرات

ما هو جيش الوفاء

انصروا دوما... وفكوا حصار الهامة

بعد الحملة الصاروخية التي تعرضت لها العاصمة دمشق وما سببته من تخبط عسكري واضح في صفوف ميليشيا الأسد، وجد "الأسد" نفسه عارياً أمام مناصريه، وهنا الحديث عن ميليشياته أولاً، كون هناك إصابات محققة في صفوف قواته، أكدها قائد جيش الإسلام "زهران علوش".

طبيعة النظام الإجرامية وبنيته الأمنية لا يمكن أن تعمل بأسلوب المقاتل الشريف، وهذا بدا واضحاً منذ الأيام الأولى للثورة حيث اتبع نهج الأرض المحروقة التي تدلل على أنه كيان احتلال، ليس إلا، ما يعني أن منهجيته ستكون الحرق ثم الاندحار، وتلك حقيقة تاريخية تؤكدها شواهد التاريخ وذاكرة الناس.

جاء رد نظام الأسد على الحملة الصاروخية التي ضربت حصنه إذاً منطقية، وقريبة لصورته الهمجية، وإن كنت اعتقد والكل يعلم أنه لم يكن بحاجة لذريعة لضرب المدن والبلدات السورية، لكننا نستطيع استنتاج أن كل غارة وضربة قوية يرد بها النظام المجرم على المدنيين وبطريقة وحشية تأتي على خلفية استعصاء تلك المناطق عليه، وما مجزرة "الكيماوي" في الغوطة الشرقية منا ببعيد، ردة الفعل قوية كلما كانت قوة المجاهدين تكبر وتشكل رادعاً وترساً في وجه زحفه لاحتلال مناطق ومواقع هامة، أو أمام خسائره الكبيرة في العدد والعتاد.

رسالة الأسد واضحة أنه لن يتوانى يوماً عن سفك المزيد من الدماء والعقاب الجماعي للمدنيين الضعفاء، تبين الحالة الهستيرية التي يعيشها "كيانه"، ولعل تعليمات "جميل الحسن" الصارمة بشأن عدم تحديد أماكن تساقط الصواريخ يؤكد صحة ما نقول وتثبت أن الضربة آتت ثمارها.

الوضع الإنساني بحسب مصادر "صدى الحرية" الخاصة، كارثية فالكثير من العائلات فقدت بيوتها، وحالة شلل تعيشه المدينة بعد الأيام ال12 التي عاشتها بالرعب، وحالة من الدمار كبيرة، حتى تحول برد الشتاء القارس إلى جحيم ملتهب، ولعل الأحوال الجوية كما تذكر مصادرنا ساهمة في توقف الحملة على دوما حتى مساء الأمس.

عدد الشهداء يرتفع مع العثور على المزيد من الجثث تحت الأنقاض، وجلهم من الأطفال كما ذكر المركز الطبي الموحد للمدينة.

خروج "علوش" على قناة الجزيرة، وتصريحه بأن دمشق سوف تتعرض للمزيد من الصواريخ ما بين 600 إلى 1000 صاروخ في الرشقة ودون إنذار، يضعنا أمام مرحلة مفصلية وندية في الثورة، وستبدأ كل مفاصل الحدث بتغيير نبرتها و فعاليتها بعد الآن, "علوش" فتح الطريق لما كانت تعتبره الثورة من الخطوط الحمراء, وسيبدأ الآخرون بتعبيد هذا الطريق , وتوسعته خاصة مع معركة كسر العظم التي بدأتها جبهات "درعا"، و القنيطرة.

الحدث الأهم .. أنها ترافقت مع انزواء المجرم حسن الأزعر بعد أن تمرغت كرامة ممانعته بالأرض على أيدي حلفاءه الصـــهاينة.

أما في الهامة فقد شهدت مساء الأربعاء محاولة لتسلل باءت بالفشل، بعد أن واجهها الثوار بالرد، وإسكات نيران القناص التي توجهت نحو المدنيين.

يحاول النظام إعادة إيجاد نفسه في الهامة وفصلها عن قدسيا، وسيلته الدائمة الحصار الذي وصل إلى يومه الأربعون.

حيث اشترط النظام إقامة حاجز لجان شعبية عند مدخل قوس الهامة الأمر الذي يرفضه قادة الجيش الحر بالهامة وقدسيا ويعتبرونه خطر الهدف من هذا الحاجز تضييق الخناق على الأهالي وإحكام الحصار.

ما حدا بالثوار إلى رفض هذا الشرط، إذ يعتبر الثوار أن هذا الحاجز سيكون ذريعة لإقامة نقاط قنص تحميه مما يعني احتلال الأبنية العالية في منطقة الخياطين واستخدام معمل بردى المهجور كثكنة عسكرية ويصبح بالتالي مرور السيارات أو المشاة على طريق بيروت خطير من جهة الاستهداف بالقناصين بدعوة حماية الحاجز أو الاعتقال أو الابتزاز والسرقة وفرض الإتاوات.

كما شهدت مدينة الهامة اشتباكات يومي الأربعاء والخميس،

بين دوما والهامة نحتاج إلى مزيدٍ من الثبات فالواقع يؤكد أن الثورة صمدت والدليل استمرارها بالرغم من قسوة ما واجهته من تخريب من داخلها، وما تعيشه من حصار دولي.

هكذا الأحرار

الحريَّةُ عند السِّياسيِّين معزوفة ولعبةٌ يتقرَّبون بها إلى الشُّعوب في شعارات فارغة جوفاء، فإذا وصلوا إلى سدَّة السُّلطة سَلَبُوا الرَّعيَّة ذلك الحقَّ، وكان فرعونُ يَمُنُّ على موسى أنَّه لم يستعبده كما استعبدَ قومَه، فكان رَدُّ موسى عليه ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ فكأنَّه يقول له: أنا فردٌ واحدٌ وقومي كثيرٌ، فلا تَمُنَّ عليَّ أنَّك جعلْتَني حُرّاً مع أنَّك استعبدْتَ قومي وهمِ كثيرٌ. ولما طلبَ موسى الحريَّة لقومه من العبوديَّة لفرعون اتَّهمَه فرعونُ أنَّه مجنون ﴿قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾ وهذه عادةُ الجبَّارين، وكذلك يفعلُ كلُّ حاكمٍ مستبدٍّ ظالمٍ لشعبه إذا خرج عليه النَّاسُ ليخلعوه من بعد ظُلْمِهِ لهم مطالبينَ بحريَّتِهم، إذْ يَتَّهِمُهُمْ أوَّل الأمرِ بالجنون وأنَّهم سوقةٌ دهماء، ثمَّ يعمد بعد ذلك إلى تقتيلهم فيذبّح رجالهم ويستحيي نساءهم ويقتل أطفالهم.

والحريَّة في مفهوم الإسلام هي الخلاصُ من ربقة العبودية للبشر، ومن ربقة العبودية للشهوات، أي أن يكون الإنسان عبداً لله وحده، لا لحاكمٍ، ولا لشهوةٍ، أو مالٍ، أو غير ذلك من الأعراض الزائلة، فإذا كان الإنسانُ كذلك فليس لحاكمٍ أن يستعبده، ذلك أنَّ الله تعالى ما خلقَ الإنسَ ليتَّخذَ بعضُهم بعضاً أرباباً من دون الله، ولا تطمئن حياةُ الإنسان ولا تستوي إلا إذا كان عبداً لله وحده، وتلك هي الحكمةُ الإلهيَّةُ من إيجاد البشر ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ فإذا صار الإنسانُ عبداً لله في كلِّ شيءٍ وصلَ إلى غاية الحريَّة، وحينئذٍ لا يمكن لهذا الإنسان الحرِّ أن يَرضى لنفسه أن يستعبده أحدٌ من الخَلْقِ بظلمٍ أو قهرٍ أو جبروت، بل إن الله تعالى أمرَ المؤمنَ أن يثور طلباً لحقِّه ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ﴾ وهذا أمرٌ شَرَعَه الله للمؤمنِ بموجب هذه الآية الكريمة، وأهل الشام ابتلاهم الله بفرعون نسأل الله أن يُلْحِقَهُ بفرعون مصر فيكون بِظُلْمِهِ من المغْرَقين، غير أنَّ هذا الدُّعاءَ يجب أن يكون مشفوعاً بالعمل وبالفهم الحقيقي لمعنى الحريَّة في الإسلام، بأن تكون عبداً لله وحده حرّاً من العبودية لغيره، فإذا صار المؤمن في تلك الرُّتبة كان حقّاً على الله نَصْرُ المؤمنين، ومصداقُ ذلك من فهمنا للسِّيرة النَّبويَّة، إذ لما عرفَ الصحابةُ -رضوان الله عليهم- حقيقةَ العبوديةِ لله وحده نَصَرَهُمُ الله على أعدائهم في كلِّ الغزوات ﴿وَإِذْ يُرِيكَهُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ فلمَّا دخلَ إلى قلبِ بعض جنودِ المسلمين في (غزوة أُحُد) حُبُّ الغنائم، وخالَفوا أمرَ رسولِ الله -صلَّى الله عليه وسلَّم- فَلَمْ يمكث الرماة على الجبل ونزلوا لأخذ الغنيمة؛ التفَّ عليهم جنودُ المشركين فهزموهم، ولَسْنا عند الله تعالى بأكرمَ ولا أعظمَ من أصحاب رسول الله وقد كان فيهم رسول الله عليه الصلاة والسلام يومَ أُحُد، تلك سنَّةُ الله في عباده أجمعين، أنْ مَنْ عَدَتْ عَيْنُه إلى زينةِ الدُّنيا وَكَلَه الله تعالى إليها، وأنَّ العبودية لله لا تجتمع بحبِّ الشَّهوات من المال أو الأغيار، فكانت الهزيمة يومَ أُحُدٍ درساً مؤلماً لكلِّ الأمَّة الإسلاميَّة في كلِّ عصورها، أنْ إيَّاكم والاختلافَ عند الغزو، إيَّاكم وحُبَّ الغنيمة، ولذلك بكى عمر بن الخطاب ﷺ لما حُمِلَتْ إليه غنائمُ الفرس في المدينة المنوَّرة، وفيها ما كان فيها من الذَّهب والفضَّة وسِوَاري كِسْرَى، فلمَّا سأله النَّاس عن بكائه قال: "إنَّما أخشى عليكم من هذه" أي الغنائم والاقتتال على الدُّنيا.

إخوةَ الجهاد: الحقُّ أَوْلَى أن يُتَّبَعَ ما خَرَجْنا طالبي شهرةٍ، ولا خرجنا طالبي قيادةٍ، ولا خرجنا لاستعباد أَحَدٍ، إنَّما خَرَجْنا لنكون رحمةً للعالمين، خَرَجْنا لأنَّنا مقهورون ولنصرة المقهورين، فلنكنْ عبيداً لله نكنْ أحراراً، هكذا الأحرارُ في دنيا العبيد. عَبْدُ الله حرٌّ، وعَبْدُ الدِّينار والدِّرهم والشهوةِ والشُّهرة والجَاهِ ذلكَ عَبْدُ السُّوء، وشتَّانَ شتَّانَ بين عبوديَّةٍ لله تُفْضِي إلى حريَّة، وعبوديَّةٍ لغيره تُفْضِي إلى ذلٍّ وانكسار، فكونوا عِبادَ الله تكونوا أحراراً، قال عليُّ بن أبي طالب ﷺ: "لا تكن عَبْدَ غيرِكَ وقد جعلَكَ الله حُرّاً" فليسَ طَلَبُنا الدُّنيا، وإنَّما هَمُّنا وطَلَبُنا الآخرةُ، وقد بعثَ الله إلينا رسولاً هو أحقُّ بأنْ يُتَّبَع من بعضِ مشايخ السُّوء الذين أضلُّونا السبيلَ، فكانوا عبيداً للحاكم الظَّالم بدلاً من كلمة الحقِّ في وَجْهِهِ، واعلموا أنَّ الجهادَ سنام الإسلام، وأنَّ السَّيفَ إذا وُضِعَ في أُمَّةِ محمَّدٍ -صلَّى الله عليه وسلَّم- تسلَّطَ عليها أعداؤها بالذلِّ والعبوديَّة والقهر، قال صلَّى الله عليه وسلَّم: " وإنَّما أخافُ على أمَّتي الأئمةَ المضِلِّينَ، وإذا وُضِعَ السَّيف في أُمَّتي لم يُرْفَع عنها إلى يوم القيامة".

السوريات الثائرات
كلمة اعتزاز واعتذار

نبيل شبيب

لولا المرأة السورية الثائرة، ما كانت الثورة، وظهور دورها على حقيقته مع الاعتماد عليه يمكن أن يساهم إسهاما كبيرا في في إعطاء دفعة قوية لمساعي ترشيد مسار الثورة ومضاعفة عطائها ومفعولها نحو تحقيق التغيير المنشود بعون الله.
لا نظلم الآباء والأجداد إذا قلنا إن الفضل الأكبر بعد فضل الله تعالى كان للسوريات اللواتي أنشأن جيلا صنع الثورة وفتح بوابة التغيير، وسط ظروف معيشية لا مثيل لها صعوبة ومشقة، وكانت معاناتهن أضعاف ما عاناه الرجال طوال حقبة الطغيان الأسدية المظلمة.
كما أن نسبة عالية من السوريات الثائرات ظهرن في الصدارة مع اندلاع الثورة، واستمر ذلك طوال فترة المواجهة، السلمية شعبيا.. الهمجية في التعامل الأسدي معها، ثم لم تغب السوريات الثائرات عن ساحات المواجهة المسلحة أيضا، ومن لم تكن حاضرة مباشرة في قتال، كانت شريكة فيه، عبر غياب أبيها وأخيها وابنها وعبر الاعتماد عليها إذا كان للأسرة أطفال، ناهيك عن إعالة الأيتام من أبناء الشهداء والأسر ضحايا همجية الإجرام الاستبدادي الأسدي.
ولا شك أن الآلام تعتصر أفئدة الآباء وتمزق نياط قلوبهم، كلما ارتقى شهيد من أطفال سورية إلى رحمة الله، ولكن الأم السورية تفقد مع كل طفل شهيد قطعة من جسدها وروحها وتعاني من الآلام أضعاف ما عانته في ولادة فلذة كبدها.
وقد أصاب تشريد الملايين داخل الحدود وخارج الحدود الرجال والنساء والأطفال ببوائقه، إنما أصابت جريمة التشريد النساء السوريات مع أطفالهن في الدرجة الأولى، وحولت حياتهن إلى جهاد متواصل ساعة بعد ساعة، لا يضيء فيه سوى بصيص أمل أن يكون مستقبل أطفالهن –كما أراده صناع الثورة الشعبية– مستقبل كرامة وعزة وحرية وعدالة وأمن وسلامة.
وفوق ذلك كله أين رجال الثورة الأعزة الأحبة الكرام مع جميع ما يواجهون ويبذلون ويعانون، من آلام صبية واحدة من صبايا سورية تعرضت للاعتداء الوحشي التشبيحي الأسدي عليها، إلى جانب تعرض "شقائق الرجال" لمثل ما يتعرض له الرجال اعتقالا وتعذيبا وتغييبا وقتلا في أقبية المخابرات؟..
فحق علينا جميعا أن نحيي المرأة السورية والفتاة السورية والأم السورية والجدة السورية والابنة السورية، فقد شهدت هذه الثورة الشعبية فيهن ومن خلالهن آيات العزيمة والبطولة والتضحية ورجاحة العقل وإبداع العطاء، في كل ميدان ومكان.

نتحدث أو يتحدث بعضنا حول ما سبق من وقت إلى آخر، ولكن كثيرا ما تغيب عن أبصارنا المرأة السورية في ميادين أخرى من ميادين الثورة الشعبية، تخطيطا وتنظيما وتعليما وتخصصا وتدريبا وتربية وإعلاما وبحوثا علمية وإغاثة إنسانية وكتابات فكرية وتوجيهية، وفي سوى ذلك من المجالات التي تبذر الآن بذور التغيير القادم بإذن الله، فمسار الثورة يصنع الآن إنسان التغيير كيلا تتكرر في بلادنا حقب الاستبداد الفاسد الهمجي المتخلف، والمرأة السورية تعيش الآن في أتون ما يصنعه العدوان من مختلف الأطراف وتصنعه الأخطاء والانحرافات الذاتية، وهنا يبرز حجم ما تساهم به المرأة السورية في صناعة إنسان التغيير –ولا ننتقص من قيمة أي إسهام آخر شيئا، بل نرصد إلى حد بعيد أن كثيرا منا –معشر الرجال– انزلق إلى ساحات التشرذم حول رؤى متعددة وأساليب مختلفة للعمل تحت عنوان الثورة، أضعاف ما انزلقت إليه النساء السوريات الثائرات طوال ما يناهز أربعة أعوام من مسار الثورة.

يكاد كاتب هذه السطور يسمع تساؤلات هامسة من جانب بعض القراء: ما المناسبة لمثل هذا الكلام عن المرأة السورية وما تقدم؟..
هل نحن على أبواب يوم المرأة أو عيد الأم أو ما شابه من ذلك من مناسبات اعتدنا حديثا على أن نكتفي بها للالتفات إلى وجود المرأة وعطاءات المرأة.. من قبل الثورة.. وأثناء الثورة؟..

كأننا في حاجة إلى "مناسبات" لرؤية واقعنا والتعامل مع أنفسنا وبعضنا بعضا!.. إن مناسبة الكلام أننا لا ينبغي أن ننتظر المناسبات لنذكر أنفسنا بما نحن عليه، لا سيما مع انحراف كثير من التصورات حول حقيقة وجود المرأة ودورها، في مجتمعاتنا، في شعوبنا، وفي القلب من ثوراتنا الشعبية التغييرية. يزيد على ذلك أن ينسب بعضنا انحراف تلك التصورات إلى الإسلام، فلا يستشعر أن الله تعالى يخاطب المرأة والرجل على السواء، كلما ورد في القرآن الكريم قوله عز وجل يا أيها الذين آمنوا، يا أيها الناس، يا أيها الإنسان، يا بني آدم.. فمن أين نشأ ما نميز به موقع الرجل عن موقع المرأة فيما يتجاوز الحالات المحدودة التي ورد فيها نص مباشر، قطعي الدلالة، يخص بالحديث الرجال دون النساء أو النساء دون الرجال؟.. ولئن بيّن الوحي اختلافا وظيفيا في بعض المجالات، فهل يوجد شك عند أحد منا بأن "أكرمكم عند الله أتقاكم" تعني أكرمكم من الرجال وأكرمكم من النساء، وأن الناس –جميع الناس.. ذكورا وإناثا– سواسية كأسنان المشط؟.. إننا لا نكرم أنفسنا ولا شعبنا ولا ثورتنا، ولا نخطط ولا نبني المستقبل كما ينبغي لأبنائنا وبناتنا على طريق ما صنعته الثورة التغييرية حتى الآن، ما لم يرسخ في أعماقنا، وفي مشاعرنا وأفكارنا وينعكس في تصوراتنا ورؤانا وأعمالنا، أننا جميعا، نساء ورجالا، نحمل المسؤولية الفردية والجماعية على هذا الطريق. وسنحاسب على هذا المسؤولية يوم القيامة أفرادا، من النساء والرجال، الفتيات والشباب، الأخوات والإخوة، الأمهات والآباء.. الثائرات والثائرين، وكل من يدعو إلى الارتفاع بأنفسنا وواقعنا إلى مستوى النصر ومتطلبات النصر ليمنّ الله به علينا، كما منّ به على صحابة رسول الله ﷺ، ورضي الله تعالى عنهم أجمعين، من النساء الصالحات والرجال الصالحين.

دمشق وحادثة الرد على مجزرة حمورية

شام صافي

- حصلت مجزرة مروعة في حمورية في وقت ويوم ووضع ومكان يتمثل فيه التحدي المستفز للإنسانية فضلاً عن الثوار.
- قرر الثوار عدم السكوت والرد على النظام بتهديد لدمشق من خلال إمطارها بالقذائف بعد يومين.
- انتشر الخبر للجميع (نظاماً وثواراً ومدنيين) عن هذا اليوم الموعود موعده مفتوح.
- تضخم أثر انتشار الخبر بالرد على المجزرة بما أنه قد أجل الرد إلى ما بعد يومين ولم يكن الرد آنياً بل يوحي بالتجهيز.
- العملية (إمطار السماء بالقذائف) لو تحققت كما تضخم أثرها وكما كان إعلانها لكانت فشلاً عسكرياً (لا هدف) ومدنياً (لا حاضنة) وسياسياً (لا كسب) وإعلامياً (لا لغة خطاب مقبولة) لأن ما يفترض فعله هو التوجه إلى عمليات نوعية ونقاط عسكرية وليس المدنيين.
- أكثر ما تم التركيز عليه هو الحاضنة الشعبية.
- تهديد الثوار للمدنيين، وقصفهم وسفك الدم للأبرياء مهما كان (خاطئ جملة وتفصيلاً).
- النظام استنفر وانتشر في كل مكان وتحسب المدنيون خائفين من العواقب.
- طالما كان هناك قصف (بغض النظر عن الجهة) فحتماً هناك ضحايا ومجرد الإعلان عن القصف هو ذريعة للنظام .
- رفع حظر التجول من قبل إعلام ثوري والذي كان قد نشر بين الناس بعد أول يوم من الفترة المنشورة.

الحل:

- التوجه إلى عمليات نوعية ومواقع للنظام مع تحييد المدنيين من أي صراع.
- التمسك بالأخلاقيات مع المدنيين وبشكل عام مهما خالفها النظام.
- كسب الحاضنة الشعبية بتحسين لغة الخطاب، وتطوير الإعلام الثوري.
- عدم الولوغ في الدم مهما كان.
- الانتقال من حالة ردود الأفعال إلى حالة الأفعال وعدم الخضوع لمطبات النظام زاستجراره للثوار بغية تحقيق أهدافه وتجنب مطباته.
- توحد الفصائل المقاتلة حتى تكون أقوى.

سرايا التشبيح

نهاية العام 2006، اجتمعت بـ"هيثم" في مشفى "المجتهد" بدمشق، في ذلك الوقت كنت أرافق خالي الذي توفي في المشفى بعد أيام، وكان هو يرافق والدته المريضة، كنت و"هيثم" نقضي الليل سويًا، وكان يحدثني طيلة الوقت عن حياته، هو أكبر مني بسنوات، وحيد لأسرته، متزوج، وله أولاد، وقد أخبرني حينها، مثلًا، عن إخوته وأخواته العلويين من الرضاعة، وأخبرني عن مراهقته الطائشة، وعن تحوله الفكري من بعثيٍ متحمس، إلى شخص ملتزم دينيًا يحضر الدروس وحلقات الذكر، ثم عن تحوله إلى الفكر السلفي وهجره للصوفيين، لكن ما كان لافتًا في الكلام عن حياته، هو تلك المرحلة قبل منتصف التسعينيات حين أعجب بشدة بحزب الله اللبناني، وأراد الالتحاق بصفوفه، وسافر إلى بيروت من أجل تلك الغاية إلا أن الحزب رفضه؛ لأنه "سني" على ما قال لي وقتها.

في ذلك الوقت، اعتقدت أن سلوك "هيثم" الطائش في مرحلة المراهقة، هو ما منع الحزب من قبوله، فمعروف أن حزب الله يتطلب من عناصره معايير سلوكية وأخلاقية صارمة، وهو يملك جهاز استخبارات نافذ، ولا بد أن يكون قد وصل إلى معلومات عن ماضيه، لذلك رفض طلبه، إلا أن الحقيقة كانت شيئًا آخر، غير ما اعتقدته.

في الفترة التي أراد فيها صديقي "هيثم" الانتساب إلى حزب الله، لم يكن الحزب قد شكل بعد "سرايا المقاومة"، وهي الميليشيا العسكرية الرديفة، التي أسسها الحزب لاستيعاب العناصر غير الشيعية التي ترغب في الانضمام إليه، ذلك أن الحزب كان حريصًا على عدم ضم عناصر من خارج البيئة الشيعية، فبناؤه التنظيمي وهيكله الداخلي يقوم على أسس مذهبية بالدرجة الأولى، فهو حزب ديني يشكل امتدادًا للثورة الإيرانية، ويسعى لتحقيق مشروع إيران الديني، السياسي في لبنان، كما أن الحزب يعتقد أن انضباط عناصره سياسيًا، وتنظيميًا، وحتى أخلاقيًا مرتبط أساسًا بالعقيدة، القائمة على مفاهيم "الولاية" و"الإمامة" و"ظهور المهدي"، وغيرها من المعتقدات الشيعية، التي لا يؤمن بها غيرهم من أبناء الديانات والطوائف والمذاهب الأخرى؛ لذلك لطالما امتنع الحزب عن ضم أفراد من غير الطائفة الشيعية إليه، إلا أن ذلك تغير جزئيًا نهاية العام 1997، عندما شكل الحزب تلك السرايا العسكرية ليضم مسيحيين وسنة ودروزًا لبنانيين وسوريين وفلسطينيين، مع إبقاء تلك السرايا خارج الجسم العسكري الرئيس للحزب، وقد شاركت تلك السرايا، على ما يقول الحزب، في عمليات المقاومة ضد الاحتلال الإسرائيلي، والتي بلغ مجموعها حتى الانسحاب الإسرائيلي نهاية أيار 2000، ما يقارب (300) عملية متنوعة.

ربما كان هدف الحزب من تأسيس تلك السرايا –على ما بدا– إضفاء طابع وطني، وقومي على حضوره ومشروعه المذهبي المعنون بـ"المقاومة"، لكنه في الواقع كان قد تغيا هدفًا آخر أكثر خبثًا، تمثل في اختراق البيئات والمجتمعات السنية والدرزية والمسيحية عبر زرع خلايا عسكرية فيها، تكون مرتبطة به وتابعة له، وتتحرك عند اللزوم لتحقيق أهدافه، وقد حرص الحزب عند تأسيس السرايا على التعاون مع بعض التيارات والحركات السياسية الضعيفة أو الهامشية في البيئات السنية تحديدًا، كـ"التنظيم الشعبي الناصري" المنتشر في صيدا، برئاسة النائب "أسامة سعد"، و"حزب الاتحاد" المتمركز في البقاع الغربي، برئاسة النائب "عبد الرحيم مراد"، وتنظيم "شاكر البرجاوي" المنتشر في الطريق الجديدة في بيروت، معقل تيار المستقبل، و"تيار المرابطين" التابع للعميد "مصطفى حمدان"، قائد لواء الحرس الجمهوري السابق، وفي البيئة الدرزية عبر "الحزب الديمقراطي" الذي يرأسه الوزير "طلال أرسلان"، وفي البيئة المسيحية عبر مقربين من "التيار الوطني الحر"، برئاسة العماد "ميشيل عون"، ومع بعض الفصائل الفلسطينية من خارج منظمة التحرير، والدائرة في فلك النظام السوري، ولا سيما "الجبهة الشعبية–القيادة العامة" التابعة لـ"أحمد جبريل"، ويعتمد الحزب على عاملي المال والغطاء السياسي، اللذين يقدمهما بسخاء لتلك الجهات فتتعاون معه، أو تسكت عن نشاطاته العسكرية في مناطق نفوذها.

يتميز الكثير من الأفراد المنضوين في صفوف "سرايا المقاومة" بسوء الخلق، وبماض جنائي، وبممارسات شخصية

منفرة، فهم في غالبيتهم أفراد منتمون إلى بيئات فقيرة، ومعظمهم عاطلون عن العمل، ولا يملكون مؤهلات علمية أو ثقافية، وبالتأكيد هم أبعد ما يكونوا عن المقاومة وفلسطين، والوصف الأنسب لهم هو ''الشبيحة''، وهذه الصفات والسلوكيات هي ما تدفع الحزب لضمهم ربما، فمثل أولئك الناس مستعدون لفعل كل ما يطلب منهم مقابل المال، دون أن يقف في وجههم أي رادع ديني أو أخلاقي أو سياسي، وهو ما يستغله الحزب بمهارة لصالحه من موقعين، فهو يظهر لخصومه أنه قادر على اختراق بيئاتهم، وضربهم بـ''شبيحة'' من مناطقهم، ويبقي عناصره بعيدًا عن المواجهات الداخلية المباشرة، فيحافظ على صورتهم العامة ''النقية''.

وقد برز حضور ''سرايا المقاومة'' في ثلاث محطاتٍ رئيسة، الأولى في ''غزوة بيروت'' 2008، والتي نفذتها سرايا الحزب ضد تيار المستقبل، والحزب التقدمي الاشتراكي، وحلفائهما المسيحيين، والثاني خلال ''معركة عبرا'' في صيدا 2013، ضد الشيخ ''أحمد الأسير''، والثالثة المستمرة منذ العام 2011، وحتى الآن ضد اللاجئين والمعارضين السوريين في لبنان، والمقيمين خصوصًا في مناطق البقاع الغربي والشمالي، حيث يقوم أفراد تلك العصابات بخطفهم وتسليمهم إلى أجهزة الاستخبارات السورية، أو تعذيبهم والتنكيل بهم وقتلهم، ولم يشارك عناصر ''السرايا'' بكثرة في القتال في سوريا، إلا أن عناصر سوريين كانوا أعضاء فيها أو تدربوا في صفوفها شاركوا بقوة، في نهاية العام 2012، خُطف نجل العميد في الاستخبارات السورية (من أصول شركسية) ''وليد أباظة'' وهو المدعو ''أنزور''، وتمت تصفيته -لأسباب شخصية على الأرجح-، وكان ''أنزور'' أحد أشرس الشبيحة، الذين تلقوا على الأغلب تدريبات في ''سرايا المقاومة'' المذكورة.

ما هو جيش الوفاء الذي شكله النظام لاقتحام الغوطة الشرقية؟

بعد عجزه عن اقتحام الغوطة الشرقية رغم كل أنواع القصف الذي استهدفها، بما فيها الكيماوي، شكل النظام ما أسماه " جيش الوفاء "، وهو عبارة عن تجمع للمقاتلين عمل على إنشائه المذيع في تلفزيون النظام عمر عيبور، والمطرب الشعبي محروس الشغري، عماده بالدرجة الأولى شبيحة مؤيدون للنظام من أهالي الغوطة الشرقية، إضافة إلى الشباب الذين خرجوا من الغوطة، حيث يجبر كل من يخرج من العائلات على جلب أبنائهم الشباب للانضمام لهذه الميليشيا، إضافة إلى أن كل الذين يُسحبون إلى خدمة الاحتياط من أهل الغوطة يزج بهم في هذا الجيش.

ويقول الناشط من الغوطة الشرقية الشرقية مُحَمَّد الجزائري ، إن عمر عيبور ومحروس الشغري هم واجهة بينما القيادة والتأثير الفعلي هو لجيش النظام والدفاع الوطني، مشيراً إلى أن نسبة 85 بالمئة من جيش الوفاء هم مجبرون على الانضمام لهذا الجيش.

الهدف من هذا الجيش حسبما قال النظام هو تحرير الغوطة واقتحامها، فيما الهدف المخفي هو عن ضرب أهل الغوطة ببعضهم، حسبما أفاد مُحَمَّد الجزائري، الذي أوضح أن النظام لا يفضل أن يكون شباب الغوطة في جيشه النظامي، خشية تسريبهم للمعلومات، أو انشقاقهم، لذلك يزج بهم في هذا المحرقة التي مهما كانت نتائجها يكون هو الرابح فيها، بعد أن تخلص منهم إثر قتالهم مع أبناء بلداتهم.

الجزائري روى قصة أبو خالد، وهو رجل كبير السن يعيش مع امرأته وبنته في دوما، وعنده بنت أخرى وشاب وحيد عمره 28 عاماً يعيشون في دمشق، تواصلت ابنته مع المطرب محروس الشغري لكي يخرجهم من الغوطة، فرضي الشغري بإخراجهم دون دفع أي مبلغ من المال، لكنه اشترط مقابل هذا أن ينضم ابنه لجيش الوفاء، رغم أنه وحيد، فرفض أبو خالد هذا العرض وبقي مع عائلته في الغوطة المحاصرة.

الكاذبة التي أحبتني

العلاقات الإنسانية داخل المجتمع تخضع لاعتبارات وقواعد محددة، كالبيئة والعادات المتعارفة، التعاليم الدينية، والتسامح في مجتمعنا طيلة السنوات الأربعين الماضية كان عنواناً نتغنى به، في المحطات الإذاعية والاحتفالات الخطابية. في الجامعة خليط عجيب يضم مختلف الثقافات والمشارب الفكرية، كلٌّ يشكل فسيفساء من التلاحم في هذا المجتمع الراقي والهادئ.

تتلاقى عيوننا على مرأى من الجميع... كانت تدخل القاعة متمايلةً كغصنٍ تدلى وتلاعبت به الريح... ذاك الثوب الأسود كم كان يليق بجسدها... تقترب أكثر... شيئاً فشيئاً، كأني بها على موعدٍ مع المستقبل.. تجلس إلى جواري... أفسحت لها، كنت حيياً، لكني لم أخشى أحداً هذه المرة والدهشة كانت تعلو وجهي. تعمقت وارتقت صداقتنا، وبدأنا جولةً حوارية، وجدليات عميقة، لم نترك صفحةً من صفحات التاريخ الإنساني إلا طرقناه... القيم الأخلاقية، العلاقات الاجتماعية... العادات والتقاليد، الحب هو ما توج حروفنا في النهاية... زرتها في منزلها، وكانت "فلسطين" إحدى المحاور التي تعرضنا لها.

في داخلها شيءٌ يوقظ بداخلي إحساساً يلغي الفوارق التي سطرتها "الطائفية" التي كنا نحاربها آنذاك، ولعلنا أطلنا الحديث عنها، وأنها سبب في دمار المجتمعات، وتحضرنا دائماً أحداث لبنان الدامية. السياسة السورية وحدها الغائب عن حواراتنا، إذ لم يكن من جديد البتة، بل إن الركون والركود يشعرك بأن الخير يعم الدولة السورية بقيادة السيد الرئيس الحكيمة، كما كانت تحب أن تقول، وكم كنت استهزأ مازحاً من كثرة ترددها لتلك العبارة.

مع بداية الربيع العربي كان بدأ التوتر يظهر على تقاسيم وجهها، والدها دائماً في حالة استنفار، هناك حالة من التقرب والخوف، لكن السيد الرئيس قادر على تجاوز أي مشكلة تواجهه. لم تعد أحاديثنا عن الأدب والثقافة، عن الحب والجمال، تحولنا إلى جدلٍ حول المؤامرة التي تستهدف عزة سوريا وقيادتها الحكيمة التي استطاعت كسر القوة الصهيونية والأمريكية وكيف خرجت تصورات سيادته في القمم العربية منتصرة. حاولت إبعادها عن هذه الأجواء، استخدمت الكثير من الحجج المنطقية والآيات القرآنية، استشهدت بالتاريخ، بالحال السياسي المتردي التي وصلت إليه البلاد، لم أجد إلا منطق الطائفية تنهيه بكلمة "أحبك حد الجنون"...

أي جنونٍ هذا الذي لم يميز بين منطق الخير والشر. خروجي في التظاهرات لم تعلم به، كان في داخلي خشيةٌ منها، لست أملك تفسيراً له، رغم أني في لحظةٍ بادلتها نفس الإحساس. ربما لأن والدها واحدٌ من رجال المخابرات من ذوي الرتب العالية... ربما ... وربما. بلغني أني صرت مطلوباً لأحد الأفرع الأمنية، علمتُ فيما بعد أن والدها كان انتقل إليه... تغيبت عن الجامعة، ولم يزل طيفها يرافقني... اتصلت بي كثيراً تسأل عن مبرر غيابي، لم أجد عذراً إلا الهروب من الإجابة. أمسك الأمن بنا نحن مجموعةً من النشطاء واقتادونا إلى ذاك الفرع اللعين... عرفني والدها وهو يحقق معي...

فاجأني بصمته... استدار نحوي... أمسك جهاز الخليوي، أجرى اتصالاً بها. ما هي إلا سويعاتٌ حتى وصلت، شتمها... "هؤلاء هم السُنة" يريدون قتلنا... بصقت في وجهي، لكمتني بيدها ورجلها، وانهالت عليَّ بالشتائم النابية، وكأنها ليست تلك الفتاة التي عرفت لحظة دخولها إلى قاعة الجامعة.

لا مكان للحب بين الطوائف إن لم نعترف بالفوارق الفكرية والعقائدية التي تفرقنا تاريخياً ولأهداف سياسية ليست دينية مطلقاً. سألت نفسي بينما كان الدم ينزل على شفتي، ماذا لو أحبها، وماذا لو بقيت تحبني؟ إنها لا تعرف الحب...

إنه الحقد ليس إلا... إنها الرغبة في البقاء تحت وطأة الذل الذي اعتادوه، والحذاء العسكري الذي انتعلوه.